مركز دراسات المعرفة والحضارة
Center of Knowledge and Civilization Studies

دراسات | 2021

بين الممانعة والغواية:
الآخر في متخيل الرحلة السفارية المغربية إلى أوروبا

الدكتورة عتيقة غازي
استاذة الثانوي التأهيلي - بني ملال
تخصص اللغة العربية
المغرب

جميع الحقوق محفوظة © 2021
All rights reserved © 2021
لجنة الإعلام والتواصل

قبل البدء:

تنتمي الرحلة إلى الشكل النصي المفتوح، وذلك نتيجة مكونات ثقافية واجتماعية وسياسية متداخلة، ونسيج متفاعل يشكل نصا يتموقع في ملتقى علامات شديدة التجذر في حقول تعبيرية شتى، وعبر أنواع متقاربة ومتباعدة، تحمل في العمق رابطا خفيا يوحدها ويجسد الأثر الشخصي للخبرات الإنسانية، الأمر الذي يعطي لهذا التعدد الأنواعي، والبصمات المميزة، بعدا منفتحا على شرايين وقنوات تتغذى من الأشكال الفنية النثرية ومن التاريخ والجغرافيا والمذكرات والتراجم. . . والاسترسال في السير والتعليقات التي تعطي للحكي طابعا مزدوجا بين التقرير والانسياب والوصف، مما يمد النص الرحلي برحابة المعرفة بأسئلتها الممتدة حتى راهننا.

إن النص الرحلي، تبعا لهذا التصور، لربما هو الشكل الوحيد الذي استطاع أن يكون في أكثر من موقع، "ويقبض على المتخيل الجانح في فداحة العجيب والغريب، وعلى الواقع الهش والصلب في آن، فهو يخترق كل الأشكال من أجل أن يرسم مسلسلا سيريا ويحقق المشاهدات الموسومة بالدهشة والتعجيب"[1]، ويرصد بشكل واضح أو ملتبس صورة الأنا الجمعية أو الذات الفردية من جهة، وصورة الآخر من جهة ثانية.

فالرحلة من هذا المنظور، نص متشكل من طبقات ولحظات، وعلاقات، ومنظورات، وصور. إنها نص يبحث عن "الحقيقة" من منظورين يلتقيان في قناة الذاتي والموضوعي بحيث إن كل المشاهدات والمسموعات تمر عبر مصفاة لها وجهة نظر شخصية ورسمية، وثقافة ووعي وحمولات معرفية وسياسية، هذا يمنح النص الرحلي غنى وثراء، لارتباطه بالذات، وبرؤية رسمية دينية وسياسية تنطلق من داخل نسق ثقافي وديني وسياسي واجتماعي وتاريخي ينصهر في قناة الذات واللغة والهوية. ويعتبر النص الرحلي السفاري المغربي امتدادا طبيعيا ومجددا بالنسبة للنص الرحلي العربي عموما، في جميع الأنواع

1-شعيب حليفي، "الرحلة المغربية إلى أوربا النص والصورة" ضمن مؤلف الرحالة العرب والمسلمون اكتشاف الآخر المغرب منطلقا وموئلا، أعمال ندوة نونبر، ط1، 2003 مطبعة النجاح الجديدة–منشورات وزارة الثقافة الرباط، ص103.

والمستويات مما أكسبه بعض الخصوصيات التجنيسية التي جعلت عددا من هذه النصوص علامات بارزة في هذا الميدان. حيث يرسم هذا الأخير (السفاري على الخصوص) في كل حركاته، "صورة الآخر الثقافية والحضارية عبر أحكام وتقييمات تجيء نتيجة المشاهدات والحوارات، وتلك العلاقة المباشرة مع الأشياء".[1]

ومن الرحلات الأكثر التصاقا بأسئلة الآخر وقضاياه في مدونتنا الرحلية المغربية، نتخذ كأنموذج رحلات القرن العشرين وعلى وجه التدقيق "المسامرة-الرحلة" حديقة التعريس في وصف بعض ضخامة باريس، أو الغصون الكاسية بأزهار الديار الباريسة لعبد الله الفاسي الفهري. ولتقديم تفسيرات وشروحات سوسيو-ثقافية لمكونات الصورة الغيرية في رحلتنا السفارية على وجه الخصوص، لا بد لنا من رصد طبيعة تلك الصورة واستعراض أهم ملامحها وألوانها، وكيفية انكتابها في خطاب لا ينبغي إقصاء جانبه الأدبي. غير أن هذا الأدب جاء ليكتب الآخر عبر مصفاة الذات، من هنا طبيعة الصورة الغيرية المضاعفة بصورة موازية هي صورة الأنا وكينونتها، الشيء الذي يفرز خطابا إيديولوجيا منذورا للمشاكسة والشوفينية أحيانا، وللوقوع في شرك استيهامات سرابية طورا آخر. وهو ما يعني أن رؤية الرحالة المغربي للآخر كانت عبارة عن تشكيل فسيفسائي تعكسه مرايا محدبة من زوايا مختلفة. اعتبارا لهذا التداخل القائم سنحاول تقديم إجابات ممكنة تفسر-قدر الإمكان-طبيعة الصورة الثقافية التي أفرزتها هذه الرؤية.

إننا لا نسعى من خلال هذه الدراسة إلى الاكتفاء بنقل ما التقطته عيون الفاسي من صور الوعي بالآخر مقارنة بمظاهر انحطاط الذات(أو الوعي بالذات)خلال مطلع القرن العشرين، وإنما أساسا" رسم فسيفساء فكر حداثي مجهض لمثقفين انتهى بهم فشل مشروعهم النهضوي إلى الخبل والعزل والاختفاء

2-المرجع نفسه، ص105.

من المعترك السياسي بعدما قيدوا ما شاهدوه من غرائب، بقيت رغائب مع وقف التنفيذ"[1]، نظرا لمثبطات موضوعية: داخلية وخارجية أسهمت في تأبيد نوع من الحبسة الحضارية تجاه معالم التحديث والتجديد في المدنية الغربية، كما حالت دون إيجاد أرضية خصبة لتصريف نوايا ومتمنيات إصلاحية أعدمها تثبيت لحظات الأهبة والترقب إلى أجل غير مسمى.

وقبل تشذير أنوية صور الآخر في مخيال الفاسي أو كما تمثلها، لابد من طرح جملة من التساؤلات التي يمكن أن تسعفنا إلى حد ما، في تفسير وفهم طبيعة تمثلات الآخر ومعرفة طبيعة النظرة التي أطرت وحكمت الناظر والمنظور إليه. من قبيل ماذا رأى هؤلاء الرحالة المغاربة؟ وماذا نقلوا من البلد الباث إلى البلد المتلقي؟ ثم كيف نظر هؤلاء الرحالة إلى البلد المرسل؟ وبتعبير آخر كيف شكلوا الصورة التي نقلوها عن هناك؟ ولماذا جاءت الصورة بهذا الشكل؟ أي ما هي الأسباب الذاتية والموضوعية التي جعلت الرحالين(الوسطاء)يركزون على موضوعات بعينها، ويبسطونها بطريقة خاصة بهم؟ كما يحق لنا أن نتساءل إلى أي مدى بلغ نضج قبول هذه الفئة بالمختلف والمغاير خارج دائرة أي نظرة إثنية قسرية؟ وما مبلغ تحكم الظرفيات التاريخية والمنظومة المرجعية الثقافية بقيمها الدينية والمعرفية والجمالية والأخلاقية في رسم ملامح المغايرة، وتلوين معانيها، ودلالاتها، ورموزها؟ وهل كان لهذه الصورة التي رسمها هؤلاء الوسطاء المغاربة-أو لبعض جوانبها على الأقل-بعض التأثير على أهل البلد المتلقي؟

يشترط بيشوا وروسو للإجابة على هذا السؤال الذي طرحناه، الإجابة أولا، على سؤال آخر: ما هو التأثير الذي يمارسه الأدب على الرأي العام؟ ولكن من الممكن أن نعكس المسألة فنقول إن دراسة تأثير

1-عبد النبي ذاكر، "مرآة الغيرية وأسئلة التحديث في الرحلات السفارية المغربية من القرن18م إلى مطلع القرن20م"ضمن ضمن مؤلف الرحالة العرب والمسلمون اكتشاف الآخر المغرب منطلقا وموئلا، أعمال ندوة نونبر، ط1، 2003 مطبعة النجاح الجديدة-منشورات وزارة الثقافة الرباط، ص370.

جنس أدبي معين-الرحلات مثلا-إذا تلته دراسة أجناس أخرى يمكن أن تكون هذه الدراسات تمهيدا للإجابة على السؤال الأعم: ما هو تأثير الأدب على الرأي العام.[1]

1- أسئلة الوعي بالآخر وحرقة النهوض في سياق الدهشة واستعادة الوعي:

نشير بداية إلى أن ظهور الاهتمام بالتجربة الغيرية الغربية الحداثية لدى الأنتيلجانسيا المغربية التي يجسدها المثقف المخزني، الديبلوماسي، الفقيه، وقد تجسد هذا الاهتمام على وجه الخصوص في التوق المحموم إلى التعرف على الآخر والتعريف به. من هنا جاء تنبيههم إلى تفاصيل المجتمعات وحياة الناس في الغرب بكل مكوناتها، الشيء الذي ترتب عنه قراءة معينة وبالتالي تأويل معين للظاهرة الغيرية الغربية، بكل ما تحيل عليه من غرابة وجدة وهو ما حرضها على كتابة الآخر وكذا كتابة الذات المثقفة المنفعلة بواقع المغايرة، والغائصة في جذورها الحضارية، التي لم تثنها عن البحث والاستكشاف، أو "تصيبها بعماء الاستكفاء ولوثة الانكفاء الحضاري، فوجدت في شد الرحال نحو الآخر فرصة سانحة لنقله وعرضه والتحمس له طورا، أو الاحتراس والتوجس منه طورا آخر، دون مناصبته العداء المطلق أو قلب ظهر المجن لكل مدنيته الغربية الحديثة، وذلك بحسب الظروف والملابسات التاريخية المتحكمة في صيرورة إنتاج الصور الثقافية، فتدمغها بميسم الإدبار والنفور أو بميسم الموالاة والميول".[2]

وإذا كانت رحلات الأوروبيين إلى الشرق عموما بما في ذلك المغرب، قد راهنت على "تقديم صور نمطية مكلسة عن سحر الكائن الشرقي، وهي صور دنيا يطبعها في الغالب نهم كبير إلى العجائبي والغرائبي والإيروسي، ويقولبها مخيال وفي لروح العصر".[3] فإن رحلات الشرقيين إلى الغرب، كما سنبين لاحقا، ركزت بالأساس على تقفي ملامح النهضة العلمية والصناعية والاجتماعية والعمرانية، وما يطبعها من عصرنة وتحديث مردهما هيمنة حضارة النار والنور، ولا شك أن هذا كان وراء انصراف الرحالين العرب عموما

1-سمير بوزويتة، مكر الصورة المغرب في الكتابات الفرنسية (1832-1912)، أفريقيا الشرق، ط1، 2007، ص18.
2- عبد النبي ذاكر، المرجع السابق، ص371
3-المرجع نفسه، ص371.

بمن فيهم المغاربة إلى تمثل صور النهضة الحديثة في تلك المجتمعات المختلفة قلبا وقالبا عن المألوف والمعتاد. وقد كان دافعهم في ذلك هو شغفهم الكبير باستكشاف الجاد والجديد من التجارب والمعارف والعادات الأصيلة.

إن هدف هذه الدراسة، إذن، هو استكشاف طبيعة الوعي بالآخر الذي تشكل عن طريق الرحلة المغربية إلى الديار الغربية، واستجلاء أهم الأفكار التحديثية التي تسربت إلى نصوص الرحالين المغاربة من خلال سلسلة الانتباهات التي طبعت نظرتهم إلى البلاد والناس. وهي انتباهات جسدت وعيا وثروة معرفية حداثية مؤسسين على كل ما هو مشوق ومفيد من طريف وغريب وعجيب ومدهش التقطته عيون مصوبة عن سبق إصرار نحو عناصر القوة في كينونة الآخر.

لا ريب أن نظرة الذات إلى الآخر في المتن الرحلي المغربي السفاري قد كيفها سياق أطماع القوى الأوروبية حيال المغرب، وهي أطماع جسدتها تدخلاتها العسكرية واحتلالها المتواصل لمدنه، وكذا اقتناص معاهدات واتفاقيات توهم بالإصلاح والحداثة وتتخفى وراءهما من أجل تثبيت دعائم مخططها الكولونيالي، ولربما كان هذا وراء تأرجح المثقف المغربي والسلطة المخزنية أيضا بين الانفتاح والانغلاق تجاه مكونات الحداثة الغربية التي "ظاهرها من قبله الرحمة والنور، وباطنها من قبله سوط العذاب ولهيب النار".[1] سواء أكان الموقف إيجابيا أم سلبيا من أسئلة التحديث لدى الرحالين المغاربة.

أما رحلات مستهل القرن العشرين التي رزح أصحابها تحت نير الاحتلال، فقد تجاوزت ذلك الإحساس بالخيبة والرهبة إلى مشارف الدهشة وامتداح الآخر والشغف به، كما هو واضح من خلال الميثاق العنواني لرحلة عبد الله الفاسي "حديقة التعريس في وصف بعض ضخامة باريس"، في إطار سياق سوسيو نفسي وتاريخي يحكمها ويتحكم في حدود تمثلها وطبيعة تمثيلها لعناصر الحداثة الغربية.

1-عبد النبي ذاكر، المرجع السابق، ص 372-373.

بعد هذه الإضاءات التي لابد منها لفهم وتأويل الخطاب الرحلي المغربي إلى الغرب. نتساءل: ما هي مظاهر انطباع الآخر في مخيال رحالينا المغاربة؟ وكيف تم التعامل معه في ضوء السياق السالف الذكر؟

تنبني هذه الدراسة على محاولة استجلاء صورة الآخر ودورها في إعادة تحديد الذات بإعطائها مدلولات جديدة، من خلال تجربة الرحلة لدى رجل ينتمي إلى توجه ذي منحى مخزني في المغرب.

هذا، وتندرج أهمية تقرير الرحلة-المحاضرة راسمة صورة لأوروبا في إطار وصفها المباشر للآخر. ولعل الرحلة الفاسية قيد الدراسة والتحليل كفيلة بتبيان نوعية هذا التطور في صورة أوروبا، لدى المغاربة تبعا لما عرفته أوروبا ذاتها من تقدم تقني وتطور محدث خلال مراحل تاريخها الحديث والمعاصر.

2- بين يدي الرحلة-المسامرة "حديقة التعريس في وصف بعض ضخامة باريس، أوالغصون الكاسية بأزهار الديار الباريسية:

كانت هذه المسامرة أول حلقة قدمت ضمن سلسلة المسامرات التي عرفتها ثانوية مولاي إدريس في ليلة الأربعاء22 دجنبر1915م، إلا أن تاريخ طبعها لم يتم في نفس السنة، بل في السنة الموالية(1916م)، أي بعد دخول البلاد عهد الحجر والحماية، تحت عنوان: "حديقة التعريس في وصف بعض ضخامة باريس، أو الغصون الكاسية بأزهار الديار الباريزية" أعدها للنشر وقدم لها الأستاذ سعيد علوش ضمن مجلة "آفاق" سنة 1989م. وتكمن أهميتها بالدرجة الأولى في المزج بين جنس الرحلة وجنس المحاضرة، استحق بها تقريظ كل من محمد بن محمد البكاري ومجموعة من معاصريه من أمثال: محمد العبادي، محمد غريط. نجتزئ منه ما يسعفنا في إدراك اصطلاح المسامرة ضمن تاريخ الأفكار يقول محمد البكاري:

مسامرة لها وقع عظيم * على قلب الأريب الألمعي**

وله كذلك:

متع لحاظك في بديع مسامرة ***سارت بها الأمثال حقا سائره

لله درمهذب قد صاغها * و اتى بها تجلوا العقول الساحرة**[1]

ولمحمد العبادي:

بل إن صنو المجد قام مسامرا * يشنف اسماع الأماثل بالدر**[2]

أما محمد غريط فقال فيها:

مسامرة لو أن بعض فصولها * يمر على الغصن العري لاورقا**

بما قد حوت من كل معنى كأنه * جمان على تلك الصحيفة أشرقا**[3]

ولمحمد بن المفضل في نفس المسامرة:

نزه جفونك في الغصون الكاسية * وأغنم سرورك بالمدام الكاسية**

و أقطف ثمار الأنس من روح البها * في روضة وردية أو آسية**

هي خطبة جرت ذيول فخامة * عن بلدة تذكي العقول الفاسية**[4]

وينسج محمد العبادي على منوال سابقيه في تقريظ المسامرة قائلا:

أهذا نسيم المسك أم نفحة الشعر* أم الخال في خذ الحبيب بدا يغري**

أم الشمس في الإشراق قد فاض نورها * أم الغيث عم الأرض في زمن القفر**[5]

إن الوقوف على هذه التقاريظ أو المقتطفات الشعرية يكشف عن مدى ترسخ تقليد المسامرة في أوساط الأنتليجانسيا المخزنية الديبلوماسية، التي دأبت على الاحتفاء بالصورلوجية المغربية عن الآخر الأوروبي/الفرنسي بمفهوم رفاعة رافع الطهطاوي في رحلته "تلخيص الإبريز في تخليص باريز" الذي تتخذه

1-عبد الله الفاسي، حديقة التعريس في بعض وصف ضخامة باريس، أو الغصون الكاسية بأزهار الديار الباريسية، أعدها للنشر وقدم لها سعيد علوش، مجلة آفاق 1989، ص171.
2-المرجع نفسه، ص171.
3-المرجع نفسه، ص170.
4-المرجع نفسه، ص171.
5-المرجع نفسه، ص171.

مسامرة الفاسي كشاهد أدبي وتقحم مقاطع من أوصافه لباريز، بالإضافة إلى تنصيصات واقتباسات أخرى من رحلة بيرم التونسي.

خاصة وأن المسامرة التي يقدمها عبد الله الفاسي تمثل وجهة نظر رسمية-آنذاك-لأن هذا الأخير كان وزيرا في حكومة المقري (وزير المالية السابق)، أي أن ما يقدمه ويلهج به صادر عن وجهة نظر ثقافة سياسية، يؤكدها الميثاق العنواني الذي يدعو إلى الانفتاح على الآخر الفرنسي من خلال تقديم "وصف إجمالي" لمظاهر الحضارة الباريزية "حديقة التعريس في وصف بعض ضخامة باريس، أو الغصون الكاسية بأزهار الديار الباريسية".

يتبين من خلال الخطاب المقدماتي للمحاضرة-الرحلة، التي ألقاها عبد الله الفاسي بأنه يقدم تحديدا لهذا الجنس الأدبي الذي يريده سالما من التعصب والاعتساف يقول: "أيها السادة إني لا أحتاج أن أعرفكم بأهمية المسامرات الليلية، وما يتلى فيها من رقائق الخطب والأشعار بلهجة حارة وما ينتج عن ذلك من الفوائد العامة والخاصة زيادة على الاجتماع والتعارف الذي هو عنوان الائتلاف. وتوافق الأفكار السالمة من التعصب والاعتساف، مع إيقاد القريحة في مضمار الخطابة والمساءلة وانبعاث النفوس الكريمة إلى بلوغ الحظ في ميادين المكافحة القلمية والمراسلة، مما كان للأمم السالفة من العرب وغيرهم فيه الصيت الذي طار كل مطار، دونوه في كتبهم تخليدا لتلك المفاخر والآثار. فإني قد تركت هذا المرمى لبعض أصدقائي الحاضرين ليشنف المسامع في مسامرة أخرى بما يتعلق بذلك، ومن أجل هذا كان المقصد والغرض أن أملي على حضراتكم ما شاهدته رؤية العين من غير شك ولا مين".[1]

فمن ميزة هذه المسامرة في نظر عبد الله الفاسي أنها تلح على التعارف والائتلاف، كما أنها صلة ربط نوع جديد بأنواع سالفة عليه من التراث العربي من خطابة ومساجلة ورحلة، لهذا كان التركيز على تشنيف

1-عبد الله الفاسي، المرجع السابق، ص172.

الأسماع بما شوهد برؤية العين: "أي الانتقال بالتقاليد الأدبية من مجرى القراءة للمكتوب، إلى الاستماع إلى رواية المرئي، وهي نقلة نوعية، تخلخل العادات دون تثويرها".[1]

فالرحلة-المحاضرة، عند عبد الله الفاسي هي دعوة إلى الانفتاح على الآخر كما ترسخ في وعي المحاضر انطلاقا من إقامته بباريز بما يقارب السنة والنصف (سبعة عشر شهرا) الذي جعلته شغوفا بالآخر إلى درجة التماهي.

وقد جاءت المسامرة-الرحلة مقتضبة مركزة ولأن المقام لا يسمح بالإطالة والإطناب، حيث يقول صاحبها "لا يمكنني أن آتي لكم في هذه المسامرة إلا ببعضه، لأنه يستدعي مجلدا كبيرا، ولكن ما لا يدرك كله لا يترك بعضه أو جله".[2] ومن هنا ندرك سر الاختصار الذي يسم عالم، فـ"اللبيب تكفيه الإشارة، عن بسط المقال والعبارة"[3] لهذا كان الفاسي حريصا على تمكين مستمعيه من تقديم "وصف إجمالي" لمظاهر الحضارة الباريزية التي تتفجر "علوما" في كل مشهد ينقله إلى مستمعيه، وقد تركز هذا الوصف على مجموعة من النقط شكلت في نظر صاحبه عصب الحضارة والتقدم الفرنسي. والآن ننتقل إلى مناقشة مجموعة من القضايا التي تثير الصورة التي رسمها الفاسي لفرنسا أوروبا، وذلك بالقدر الذي يسمح به المقال.

3- غواية الصورة: السراب الفردوسي أو يوتوبيا المدينة الفاضلة.

يقول الفاسي في مستهل رحلته-مسامرته: "فإذا رمت المدينة والحضارة العالية فحي على باريس بل منها تفجرت ينابيع العلوم والمعارف العصرية (. . .) بل أنت بما فيك من المزايا عاصمة معظم الخافقين لأسباب هنائك وصفائك ونعيمك ونعمائك وتفردك، من بين العواصم بسلامة الذوق ونفاسة الإبداع

1-سعيد علوش، خطاب الترجمة الأدبية من الازدواجية إلى المثاقفة المغرب الحديث (1912-1956)، ط1990، 1، مطبعة بابل الرباط، ص32.
2-عبد الله الفاسي، المرجع السابق، ص173.
3-عبد الله الفاسي المرجع السابق، ص180.

ووفرة العلماء والباحثين والكاتبين والشاعرين. يا بلد ديكارت وكونت وروسو وفولتير وديدرو وسيمون ومونتسكيو وهوغو وباسكال ورنان".[1]

فالرحلة-المسامرة دعوة إلى اعتماد استراتيجية الشاهد الأدبي التي عليها ألا تقتصر على الاعتكاف والاكتفاء بالمحلي، ولكنها تدعو إلى المغامرة لاكتشاف الآخر الفلسفي (ديكارت/كونت /فولتير/ /ديدرو/مونتسكيو).

وبهذا كانت رحلة "حديقة التعريس في وصف ضخامة باريس" تكشف عن الأسباب الخفية في تفوق أوروبا وتقدمها، على نحو ما يراه الفاسي، فإنها كانت بموجب ما يقوم به من معاينة لأوروبا فرنسا وملاحظة مباشرة لها، تستوفي عمل القراءة التي يقوم بها الفاسي لأسباب ضعف المغرب وانقلاب الأحوال فيه، وباريز هي الجنة التي يجتمع فيها ما يصنع التفوق والقوة عند الفاسي وما يرسي دعامتها من علم وعدل ونظام.

وحتى إننا لا ننسى معه ذلك التلجلج الذي اعتمل في نفوس سابقيه بما فيهم الشيخ بيرم التونسي في رحلته حيث قال: "هي نزهة الدنيا وبستان العالم الأرضي وأعجوبة الزمان، وهي النموذج لغرائب مصنوعات البشر وحق للفرنساويين التفاخر بها ومباهاة الأمم بمحاسنها وجمالها وغناها ومعارفها ومصانعها، فمهما فكرت في إحدى هذه إلا وقلت إن القوم قد انحصرت أعمالهم فيها".[2]

لقد أعجب الفاسي بباريز، خاصة، أشد ما يكون الإعجاب. لا بل إنه انسحر بها سحرا أكسب حديثه عنها بهاء ورونقا ليس مما تعهده في كتابات الموظف المخزني. هذا السحر سببه الشغف بالعلم، ذلك أن الفاسي لا يخفي انبهاره واندهاشه بما شاهده في الخزانة الكبرى-إحدى مفاخر الديار الباريزية- حيث يقول: "سادتي أأصف لكم المكتبة الكبرى بباريس وأنت على بصيرة بما للكتب من الأهمية في نشر العلوم والمعارف وما كانت عليه الأمم السالفة من الاهتمام بهذا الموضوع الشريف ولقد ذكر في نفح

1-المرجع نفسه، ص173.
2-المرجع نفسه، ص173.

الطيب أن الحكم جمع من نفائس أربعمائة ألف مجلد، وكان يستجلب المصنفات من الأقاليم والنواحي باذلا فيها الأموال حتى ضاقت عنها خزائنه".[1]

ولما دخل الفاسي الخزانة الكبرى في باريس جعل يتأمل الخزانة-إحدى مفاخر الديار الباريزية- والتي يقول في حقها: "وأبهة يحق بمشاهدتها الفخار"[2]وعندما يعاين الفاسي إحدى غرف الخزانة، فإنه يعاين المصنفات"فقابلنا قيمها مقابلة حسنة واطلعنا على ما أمكن الاطلاع عليه من الكتب الخطية كديوان الشعراء الستة، ونسخة من مقامات الحريري بخطه وغير ذلك من الكتب النفيسة"[3].

ففي أول مشهد له في وصف خزانة الكتب، بدأ يلاحظ الأعداد الضخمة من الكتب والمؤلفات، إذ رأى "ما يزيد على ثلاثة ملايين من الكتب المطبوعة وما يزيد على المائة ألف كتاب بخط اليد ومليونين ونصف من الصور المختومة".[4]

وكم كانت دهشته وهو يرى كلية باريس الكبرى فقد ملأت الحيرة عقله وبلغت الدهشة مبلغها، كما هو واضح من شهاداته الحائرة" سادتي، أأصف لكم كلية باريس الكبرى(. . .)فيها ما يزيد على ثلاثمائة أستاذ يبرق الذكاء من أعينهم وأساريرهم، ودلت الإحصائيات ذلك الوقت على أن فيها من الطلاب 17303منهم 3361 من الأجانب ومن هؤلاء 926 يدرسون الحقوق 529 يدرسون الطب، 1062 يدرسون الآداب زيادة على كليات الولايات والكليات الخارجية"[5] ففي وصفه لمدرسيها بالذكاء كما لو أنه ضمنيا يكشف عن غياب هذه الصفة عند المغاربة، أو وجود ضدها، من خمول وتقليد وجمود وأمية.

1-المرجع نفسه، ص180.
2-المرجع نفسه، ص180.
3-المرجع نفسه، ص180.
4-المرجع نفسه، ص180.
5-المرجع نفسه، ص180.

والأكاديميات والمجامع والمدارس والمجالس والمكاتب كمكتب العلمي لتعلم الكتابة ومكتب البكم والصم باصطلاحات وأرقام مذكورة في محلها مما دل على علو هممهم ونهضتهم السامية في المعارف والعلوم.

وليس يصح في الأذهان شيء * إذا احتاج النهار إلى دليل**[1]

وعلى الرغم من أن النهار لا يحتاج إلى دليل فقد ذكر أن في هذه الكلية أخترع أمبير وباستور وغيرهما، "اختراعات عجيبة من تلغراف سلكي ولاسلكي وكهرباء وتصوير شمسي وعلم وتدبير الحياة. ومنها تخرج سلفستر دي ساسي الذي لخص شرحا لمقامات الحريري، ودرس البيضاوي عدة مرات، وألف كتابا في النحو رتبه على ترتيب عجيب لم يسبق به، وترجم المقامات البديعية والحريرية".[2]

إن الصورة التي رسمها الفاسي للإنسان الفرنسي هي أنه صانع لأدوات العلم والمعرفة، حيث تنطوي الرحلة على زخم من المشاهد التي تصور بدقة وتفصيل كبيرين واقع الحركة العلمية في أوروبا في بدايات القرن العشرين، وما كانت تشهده من تطور في جميع حقول المعرفة العقلية إضافة إلى ما كان يوازيها على الصعيد المجتمعي، من منتديات ومجالس ومحافل عمت الحركة العلمية سائر الطبقات المجتمعية.

وهكذا فعند استقراء معالم تلك الصور التي يقدمها الفاسي في ثنايا رحلته عن الجو العلمي والمناخ الفكري، يظهر على التو أن المدارس ونوادي العلم تمثل المركز الذي يستقطب كل المجتمعات "فقلما تجد متخرجا في علم من العلوم المذكورة إلا من كلياتها ومدارسها استفاد، والناس بهذا الصدد يشدون الراحلة والزاد".[3] وإذا كان المجتمع الفرنسي قد برع في العلم والفن وأبدع في كليهما، فذلك عن طريق التعلم فإجبارية التعليم ومجانيته في المدارس الكبرى (كوليج دي فرانس) كافية لصدع الهوة بين الأنا والآخر، حيث "العلم مباح فيها لكل طالب بلا أجرة".[4]

1-المرجع نفسه، ص180.
2-المرجع نفسه، ص180.
3-المرجع نفسه، ص173.
4-المرجع نفسه، ص181.

لقد أدرك الفاسي من خلال إقامته في باريس أن هذه العلوم والمدارس التعليمية وما تزخر به فرنسا من مكتبات وغير ذلك، مما تطول الإشارة إليه، ما كان ليصبح واقعا ملموسا لولا الحرص الشديد من جانب المجتمعات الأوروبية على المنتديات والمحافل العلمية.

يبدو أن الفاسي قد أسس بذلك الإعجاب الذي ظل مستمرا بمدينة "باريس"التي ارتفعت إلى مصاف الرمز الحضاري، وظل الإعلاء من شأنها بالقياس إلى غيرها وتبرير تفوقها بابا ثابتا ومبدأ ثابتا في الرحلة.

وفي إطار سياق الدهشة والانبهار يفصح الفاسي عن كلل قلمه وعجزه عن استيفاء صور الآخر، فقد تكاثرت عليه الصور المدهشة لدرجة أنه لم يعد يدري أيتها يقتنص لمتلقيه:

تكاثرت الظباء على خداش * فما يدري خداش ما يصيد**[1]

فلتبرير إعجابه هرع الفاسي إلى السجل التراثي بمدونته الشعرية ليمتح منه ما يلطف من غلواء الانبهار ليشرعن افتتانه اللامحدود بالآخر. مادامت هذه الأخيرة تبقى آثارا تلهج بها الألسن بصنيع المرء بعد زواله، بل أكثر من ذلك سارع لتقريب عظمة المكتبة الباريسية من ذهن متلقيه عبر مقارنتها بما بلغته المكتبة العربية الإسلامية في عصرها الذهبي على عهد الحكم.

وضمن هذا الانسياق الجامح وراء الهاجس التحديثي أفضى إلى الارتماء في أحضان التبرير المجاني للحماية، وهو تبرير يحتمي وراء "العلم البراجماتي العملي" وما أسسته باريس من مجامع علمية ومدارس وكليات، إنما هو "لخدمة المدنية والإنسانية، وتلقين الخلق معنى الإخاء والحرية والمساواة والتضامن والتكافل والعطف على البائسين والمساكين، والرفق بالضعفاء والعاجزين والأخذ بأيدي المقهورين والعاثرين والانتصار للمظلومين من الآدميين. وفوق هذا وذاك إنها ليست عاصمة مائة مليون من البشر أربعون في أرضها وستون في المستعمرات، وإنما عاصمة معظم الخافقين بما فيها من المزايا"[2] صارفين

1-المرجع نفسه، ص181.
2-المرجع نفسه، ص173.

النظر عن الوجه الاستعماري لهذه الحداثة التي انتصرت فيها السلطة على المعرفة، فأصبحت "مشروعا للتقدم والهيمنة" في آن واحد. ومرة أخرى يقف عماء التبصر حائلا دون البصر الذي أغشته أنوار العلم وخطفته الدهشة، إذ أن أوروبا وفرنسا لم تسعيا في نظره وراء النفوذ السياسي والتوسع على حساب الآخر، بل وراء نقل المدنية والعلوم (العلوم البراجماتية). إنه إعجاب يحمل في عمقه إحساسا داخليا فادحا، سيؤكد اكتشافا مزدوجا بخصوص واقع الأنا المتخلفة الكسيحة والفاقدة لكل مبادرة للخروج من حطامات الواقع.

يشكل المسرح أيضا ملمحا من ملامح المدنية الغربية على المستوى الثقافي، ونظرا لجدته على عين الرحالة المغربي، نصادف اهتماما. بخصوصيته غير المألوفة قلبا وقالبا. ومن شدة إعجاب عبد الله الفاسي بالمسرح نراه يعدد مزاياه وفضائله، بما فيه من فوائد جليلة "فالتياترات سرها عندهم لا تخلو من فوائد جليلة وإنما حسب القاصر أن يرى الظاهر فقط كما نص عليه غير واحد وأدركناه أعيانا"[1] وبهذا فإحساسه بجلال المسرح وقيمته في المجتمع الغربي، جعله يعرج من الحديث عن فوائده إلى وصف ضخامة البناية "مقياسه الذراعي أحد عشر ألف متر "وذكر ما تصرفه الدولة من أموال باهضة على تكاليفه. يقول الفاسي: "وقد ذكر المؤرخون أنه صرف على إنشاء هذا القصر وتنميقه مائة مليون وأربعة عشر مليونا فرنكا".[2]

فمنذ الخطاب الاستهلالي الذي استفتح به الفاسي رحلته الباريزية، نتبين ذلك الإحساس المهيض بقوة الآخر وتفوقه الذي لم يعد يحتاج إلى دليل "باريس وما أدرك ما باريس".

ومرة أخرى يأتي الخطاب الاستهلالي في رحلة الفاسي شفافا يفضح الفوارق واختلال موازين القوة ومعاناة الاختراقات "سادتي أأصف لكم الاحتفال الشاهق البديع الذي يعجز القلم عن وصفه وتعداد

1-المرجع نفسه، ص177.
2-المرجع نفسه، ص177.

محاسنه وأبهته وضخامته".[1] ولم يملك الفاسي إلا أن يحوقل والغبطة تغمر قلبه أمام مشاهد التفوق العسكري المدهش، الذي التمس له أسباب تهوين أهله في معرض وصف مناورة حربية بعد أن وقف واستوقف وهو ينقل مشهد استعراض عسكري رهيب. وإليك وصفه لمناورة عسكرية أقيمت احتفاء بالوفد المغربي: "وكان من دون ما عدا المذكورين من المتفرجين بالمساحة العظيمة ما يجاوز بكثرة النصف مليون زيادة على الجيوش المستعرضة على اختلاف تقاسيمها الحربية (. . .) والطيارات على اختلاف أنواعها في كلتا الحفلتين فوق الجو ترفرف على تلك الأنحاء، وتنشد بلسان حالها زيادة في الرشد والاهتداء:

بقدر الكد تكتسب المعالي * ومن طلب العلا سهر الليالي**"[2]

ولعل هذا التهويل مرده تلك المقارنة غير المتكافئة التي جالت بخاطر الفاسي، وهو يرى قوتهم وحسن سيرتهم ونظامهم العجيب وضبطهم وحزمهم وإتقانهم وانصياعهم لقوانينهم واستعدادهم وحسن ترتيبهم ووضعهم كل شيء في مكانه اللائق به، واستعدادهم وحسن ترتيبهم ووضعهم كل شيء في مكانه اللائق به، مقابل ضعف الذات وانحلال قوتها واختلال أحوالها. وواضح أن الفاسي يصف حالة الجيش الفرنسي بعين تستحضر في ذات الوقت وبشكل ضمني مساوئ تنظيم الجيش المغربي والفوضى السائدة في صفوفه ونوعية أسلحته وذخيرته والعلوم العسكرية التي يمتح منها المنتسبون إليه، وما يترتب عن ذلك، مما ينم عن رغبة دفينة في اقتباس هذه التنظيمات وإدخالها إلى المغرب.

حظيت مؤسسة البرلمان بالتفاتة خاصة من قبل الفاسي الذي رأى فيها تجسيدا لروح الديمقراطية، ونظرا لتكامل نظرته الثاقبة والفاحصة لمكونات هذه المؤسسة الغريبة عنه، نثبت شهادته بكل مفاصلها وتفصيلاتها التي تفضح رغبته الدفينة في توفيرها في بلاده، حيث يقول: "فمجلسا النواب والأعيان هما أعظم مفخرة يتلى من مفاخر الأمة الفرنسوية وعليه مدار الجمهورية التي أسسوها حفظا لنظام العدل

1-المرجع نفسه، ص175.
2-المرجع نفسه، ص177.

والمساواة من غير تفرقة بين رئيس ومرؤوس"[1]لا شك أن الرجل قد أعجب بتدبير النظام السياسي-وهو القاضي المهووس بالعدل- الذي كانت تنهجه فرنسا التي تدافع عن مصالح الرعية، حيث "كل يعمل لصالح البلاد والعباد"[2]لذلك نراه مشدودا إلى كل ما من شأنه أن يقرب بصر المتلقي وبصيرته من مزية مجلس النواب والأعيان "وفي مجلس الشيوخ التثبت والتفكر والتروي. . ."[3] فبعد أن تكلم عن أعضاء المجلسين وصفتهما علق قائلا: "وفي هذا سر بديع لأنه لو كان الكل مساعدا ومعارضا لفسد النظام، إذ القصد جمع الأفكار وضمها والتأمل فيها قبولا وردا في الخارج حتى تنتج النتيجة سالمة، مما يعرقل مساعيها وليس المقصد التعنت أو مجرد الغرض، إذ هم في الوطنية ونظر الأصلح للأمة على قلب رجل واحد. . ."[4]، حيث يكتشف الفاسي في فرنسا هذه النوعية من العلاقات بين الحكومة والشعب، على أساس تحديد الاختصاصات، والتساوي والاحترام وتبادل المنافع، لكأنه يفكر وهو يكتب في بلاده التي تركها في ظل ملكية مطلقة في دولة هرمة متفككة وآنية عاجزة ذات عقلية متخلفة كسيحة.

كل العمران عموما وهندسة الشوارع والقصور والقناطر وفوائدها -على وجه الخصوص-مادة إعجاب الرحالين المغاربة، لذلك لم يكونوا ليمروا عليها دون أن تسحرهم بقوتها وغرابة صنعها. وكعادة الفاسي في الولع بأسباب التقدم والتطور نراه يفصل القول، فيما شاهده من أصناف القناطر والقصور بالديار الفرنسية وإليك تنصيص من المتن الرحلي يكشف عن هذا الولع الخاص. فمما أثار دهشة الفاسي مثلا الطرق "أأصف لكم شوارعها الفسيحة التي تتجاوز بكثرة ثلاثة آلاف طريق أعظمها ما تقسم أقساما لممر العربات والأتوموبيلات والترامواي والدواب والمشاة كل قسم على حده ويسمى هذا النوع "أفني""[5] واعتبرها غاية في الإتقان والنظام والترتيب. وكعادة الفاسي نراه يفصل القول في ما شاهده من

1-المرجع نفسه، ص177.
2-المرجع نفسه، ص177.
3-المرجع نفسه، ص177.
4-المرجع نفسه، ص178.
5-المرجع نفسه، ص174.

أصناف "الشوارع الممتدة تحت الأرض برسومها الهندسية العجيبة المتينة"[1] وحسن احتباكها الذي لا يكيف إلا بالمشاهدة "فلو رأيت عمران الطرق واحتباكها الذي لا يكاد يعبر عن عدده لكثرته بالأتوموبيلات والكراريس والعربات لرأيت أمرا عجيبا هائلا لا يكيف إلا بالمشاهدة".[2]

ومن التجهيزات الأخرى التي حظيت باهتمام الفاسي بناء القناطر فوق الأنهار "بوادي السين المار بها لحمل القوارب والبواخر الصغيرة وعليه في البلد عشرون جسرا مختلفة الأشكال (...) فترى البواخر جارية في النهر وعلى الجسر المشاة والفرسان والعجلات والرتل سابح شبه الهواء فوق الجميع"[3]، حيث كان يرى في القناطر مفخرة يتباهى بها الفرنسيون ويقدمونها فرجة للأجانب كما فعلوا مع المغرب. وبدوره سحر الفاسي بشق الأنفاق وبحسن قيام أهلها بها يقول: "ومما حضرت له مما يشهد لهذا الموضوع مباشرة إيصال طريق تحت الأرض لممر القطارات، وسقفها ممر وادي السين المشار له ولا يقطر من رشحات الوادي، ولو نقطة واحدة مما أدهش العقول والعملة قائمون بواجباتهم على غاية النشاط والاهتمام".[4] مما يحسب نفسه يفتقده في بلده هذا البلد الذي يبدو كل شيء فيه ذا شكل خرابي آيل للسقوط ولا أحد ينه من الانهيار.

وقد أعجب الفاسي كذلك إلى حد كبير بالقصور فوقف عليها وقفة العارف المتمكن، فذكر أشكال الزخرفة وسعة الأماكن وضخامة أبنيتها يقول: "سادتي أأصف لكم ما شهدته القصور الضخمة صاحبة الإتقان العجيب. والصنع الغريب. مما دل دلالة واضحة على ما لهذه الدولة الفخيمة من المفاخر "[5]وقد قيل:

هم الملوك إذا أرادوا نشرها * من بعدهم فالبسن البنيان**

1-المرجع نفسه، ص174.
2-المرجع نفسه، ص175.
3-المرجع نفسه، ص174.
4-المرجع نفسه، ص174.
5-المرجع نفسه، ص176.

إن البناء إذا تعاظم شأنه * أضحى يدل على عظيم الشأن**[1]

فمن ذلك قصر الأليزة الذي به مقر رئيس الجمهورية، وناهيك به ضخامة وزخرفة وإعجابا وترتيبا يدهش الأفكار وتحار من مصنوعاته الأنظار "وذا ما سيصف في الإيحاء بعظمة وضخامة الفضاء المصوَّر وعجز الذات المصوِّرة عن التقاط التفاصيل لما يند عن الحصر وينفلت من التحديد. والانطباع نفسه يحمله الفاسي عن العاصمة الباريسية وقد تحسس نظامها وفخامتها راكبا وماشيا، وكثيرا ما كنت أتجول بالعاصمة الباريسية راكبا وماشيا مدة إقامتي لأستوعب فخامتها فما عثرت على محل مفتخر للإصلاح لوضع كل شيء موضعه ومكانه على أساس متين"[2]فالإحساس بالتيه والضياع والتقزم والانسحاق في هذه الفضاءات التي يحار العقل في تصويرها ظل يلازم الفاسي، بحيث بلغوا من التفوق ما لا يجد معه إلا أن يقول: "ليس من رأى كمن سمع".

لقد شكل القطار ملمحا من ملامح حداثة ذات وجه متوهج، قوي، متسارع، منتظم بإحكام، جليل القدر والقدرات. فما كان من رحالينا إلا وانبهروا أمام هذا الاختراع الذي بدا لهم وكأن ليس وراءه وراء، فطفقوا يصفونه بدقة متناهية، معددين فضائله ومزاياه في تحديث المجتمعات الغربية على العموم والفرنسية بشكل خاص، ولاسيما ربح الوقت وجلب الراحة. وإليك هذا الاستقصاء لاختراع اخترق لب الفاسي "القطارات الكهربائية بأسرع ما يمكن بأيسر أجرة وتسمى الميترويولتين تقرب بها المواصلات للأماكن البعيدة".[3]

يبدو الفاسي في موقف الإنسان المنذهل الحائر أمام علم فرنسا وريادتها، فمنذ خروجه مبعوثا من قبل مولاي عبد الحفيظ رفقة المقري لحضور احتفالات العيد الوطني للجمهورية الفرنسوية لم يصادف الفاسي في رحلته-مسامرته إلا ما يدهش ويعجب، حيث يعكس وصف الفاسي لها باقي المقاطع في مجموع

1- المرجع نفسه، ص176.
2-المرجع نفسه، ص176.
3-المرجع نفسه، ص175.

الرحلة: الإعجاب والدهشة والإعلاء من شأن العلم، وكأن لسان حاله في عرضه لتفوق الفرنسيين في جل العلوم يقيد ما ينقص المغرب لحظتئذ وهي مأزق متعدد الأوجه والامتدادات.

كما حرص المؤلف في هذه الرحلة-المحاضرة على تقديم صورة تكاد تكون شاملة ومفصلة عن مختلف جوانب الحياة الأوروبية، حيث اهتمت أوصافها بالتعريف بأهم منجزات التقدم التقني وخصائص العمران، كما اعتنت برصد أوجه النشاط السياسي كحديثها عن المؤسسات السياسية القائمة ووظائفها واختصاصاتها، وعن تشريع القوانين، دون أن ينسى نقل بعض المعطيات عن النشاط العلمي ومؤسساته، والمجال العسكري حيث أسهب في وصف مؤسسة الجيش ومكوناته وتنظيماته.

إنها -بالتأكيد- صورة يريد من خلالها الفاسي تأكيد رؤية الآخر للمغرب وللمغاربة "نبغاء الأمة الفاسية المعول عليهم في كل باب"[1]، حيث يدون ملتمسا الدرس العملي الذي يريده لنفسه ولهذه الفئة لأنه ينظر في شؤون المغرب، كما يعلمها، فيرى أنه المعول عليها في تحقيق النهضة وفي سلوك سبيل التقدم والرقي للبلد. وهي رؤية تحتوي على الكثير من المغالطات وإن كانت تتضمن في عمقها تعبيرا عن تخلف المغرب وعدم مسايرته للحضارة المنطلقة.

ولأجل هذا نجد الفاسي يبرز فرنسا ويتكلم عنها في بعد إنساني في وصفه لها فهي "العاملة بمقتضى الإنسانية في جميع الشؤون، والقائمة بسيف الجد والعدل".[2] ثم إنه لا يتوقف عن التوجه بهذا الخطاب الملفوف بغلالة الإقناع إلى مستمعيه "وقد شاهدتم بالعيان كما شاهد غيركم منذ نشرت حمايتها على المغرب كيف ترقى صوره العديدة، وأسست فيه مبادئ مفيدة، مع ما لرجالها من الالتفاتات الحبية نحو الأمة الإسلامية، وقد اطلعتم بجريدة التلغراف على ما يشهد لهذا مما زاد به الكل سرورا وابتهاجا".[3] وقد بنى تبريراته للحجر والحماية على أساس أن ما أدخلته فرنسا الاستعمارية من إصلاحات "لا يعارض أصول

1-المرجع نفسه، ص177.
2-المرجع نفسه، ص182.
3-المرجع نفسه، ص182.

الشرع، ولا يخرم العادة لها ما يؤيدها من الشرع الكريم، كتوسيع الطرقات مع ما أسس من المدارس للتعليم، جامعة للشرائط والتنظيم، من غير مس ولا إخلال بالأصول الشرعية، والعوائد المرعية".[1] لتصبح المسامرة-الرحلة خطابا للترويج لفكرة الاستعمار والقبول به، ويظهر ذلك وحسب تعبير الفاسي الذي كان يملك من الولاء لفرنسا ما يزيد عن الحد، وذلك بدمج فضائه في فضاء الآخر(الفردوس الباريسي)والقبول بفكرة الاستعمار مع تبرير تدخل الدولة الفرنسوية في المغرب "وإنها الجديرة بما تستحقه من الثناء والإعجاب والفخر الذي ليس على شمسه المنيرة حجاب"[2]أو ليست منها الحضارة قد ألقت أشعتها على البسيطة فحاكت ضوء نبراس.[3]

ولعل هاجس الإقناع هو ما حدا بالفاسي إلى أن يشفع مسامرته-رحلته بقصيدة تعرب عما لها من الفخامة والجمال على وجه الإجمال يقول:

ما نزهة الطرف بين الورد والآس * ولا اختيال عروس بين أغراس**

أشهى لقلب أديب من مسامرة * تدعو إلى طيب أفكارو أنفاس**

حق الفخاربها من دولة رفعت * رسم المعارف بعد طول أرماس[4]**

لقد جاء المتن الشعري على منوال المنثور تأكيدا لما احتفت به المسامرة من أفكار وصور وذلك لترسيخها في مخيال المتلقي، تدعيما للهاجس والسياق الذي من أجله سيقت المسامرة في الانفتاح على الآخر والتعارف والائتلاف. والجدير بالذكر أن الشعر الوارد في نص الرحلة أسهم، بشكل كبير في إبراز تصور الرحالة الفاسي لفرنسا، وعلاقته بالأشياء والوجود، وفي نقل عالم الرحلة كما عاشها الرحالة، إلى القارئ المتلقي بما في ذلك الفضاء الغيري. فكان هذا المنظوم الشعري مرآة أخرى تتراءى لنا، من خلالها، ذات الرحالة وهي تجوب عالم الرحلة وفق منطق خاص.

1-المرجع نفسه، ص182.
2-المرجع نفسه، ص182.
3-المرجع نفسه، ص183.
4-المرجع نفسه، ص183.

في الختم:

تلك إذن فيما نعتقد حدود الصور التي التقطتها عين الفاسي، حيث عبر عن رغبته الجامحة في استرفاد معطيات المدنية الحديثة والتطور الحديث بشتى تجلياتهما الإيجابية، وبالتالي الحذو حذو الآخر طمعا في الانفلات من الكبوة الحضارية التي أسقطت العرب والمسلمين في وحل الانحطاط والتردي والنكسات المتتالية على مستويات عدة. ولربما كان هذا الوضع-في الهنا والهناك-هو الحجر الأساس في صياغة صورة غيرية ملفوفة بالدهشة والاستغراب، من عناصر الحداثة والتفوق في المدنية الغربية التي لا تنقضي عجائبها، وهي صورة مبطنة بالتبكيت على الماضي المجيد للحضارة العربية الإسلامية المأسوف عليها، والمرغوب في استعادة قدح زنادها بشعلة الحداثة المنبعثة من حضارة الغرب.

مركز دراسات المعرفة والحضارة
Center of Knowledge and Civilization Studies

maarifa-center.com

maarifa2011@ gmail.com

facebook.com/almaarifa.centre

جميع الحقوق محفوظة © 2021

All rights reserved © 2021

لجنة الإعلام والتواصل